

مصطفى محمود



لماذا رفضت الماركسية؟

مصطفى محمود

لماذا رفضت الماركسية؟



دار المعارف

الفصل الأول

لماذا رفضت الماركسية؟

حينما بدأت أكتب في الخمسينات كانت الماركسية هي
موضة الشباب الثائر في ذلك الوقت.. وكنا نقرأ منشوراتها في
نهم فتحرك مثالياتنا بما تعد به من فردوس أرضي وعدالة
ورخاء وغذاء وكساء للعامل والفلاح ومحاربة للاقطاع
والاستغلال وتحرير للجماهير الكادحة.

وكانت موسكو تبدو لنا في ذلك الحين الكعبة الام لهذا الدين
الجديد الذي يشع بالخير والرفاهية لكل من يدور في فلكه

وكانت أول صحوة لنا من ذلك الحلم حينما سافرنا إلى
الخارج ورأينا الخراب والبؤس والوجوه الكئيبة المتجهمة في
المجر ورومانيا وألمانيا وكافة البلاد الشرقية التي تجرى في
هذا الفلك.

وبحثنا عن الرخاء والرفاهية والحرية والفردوس الأرضي فلم
نجد له أثرا

وكانت الصدمة الثانية الاعظم حينما فتح خرشوف ملف ستالين وأعلن على رموس الأشهاد المظالم التي ارتكبتها ستالين والملايين من العمال والفلاحين والمتقنين الذين قتلهم في السجون والمعتقلات وأعدمهم بالرشاشات وألقاهم للموت في جليد سيبيريا وأسلمهم لألات التعذيب بين يدي الجلاد الرهيب بریا.

ويومها قالوا لنا.. إنه التطبيق..

الذنب في التطبيق السيئ.. ولكن النظرية بريئة مبرأة من هذا كله.

واحتاج الامر منى إلى سنوات من القراءة والدراسة والعكوف على المجلدات الأصلية للمذهب لكي أكتشف أن الفساد ليس في التطبيق ولكن الفساد في المذهب نفسه وأن تلك الأفكار الثورية لم تكن أكثر من تحشيد وتحريض ودفع لكل الجماهير نحو ثار تاريخي يخرج العالم من ظلم ليلقى به في ظلم أفدح وأشمل وأعم.

يقول ماركس بأن التاريخ عبارة عن تنازع مصالح مادية ويرى أن التاريخ يتحرك إلى الامام بدفع من الصراع الطبقي بين السادة والعبيد.. وكلما تغيرت أساليب الإنتاج تغير معها شكل المجتمع وحضارته وفنونه.

جاء المجتمع الزراعى فجاء معه بفنونه وأدابه وتقاليده

وأديانه وكانت وظيفة هذه الأديان هي الحفاظ على مصالح السادة الإقطاعيين. ثم جاء عصر الصناعة والبخار فجاء معه بفنون وأفكار وأخلاقيات جديدة تحفظ للسادة امتيازاتهم.. ثم تطور العلم وتطورت معه أساليب الإنتاج وجاء الاوان أخيرا ليقلب العمال نظام العالم ويأتون بأفكارهم وأخلاقياتهم ودينهم (الشيوعية) الذى يكتسحون به الأديان المتخلفة الموجودة ويقودون العالم إلى مجتمع لا طبقي يمتاز بالوفرة في كل شىء، ويعمل فيه كل فرد على قدر طاقته ويأخذ على قدر حاجته بلا ظلم وبلا استغلال.

وكانت وسيلة ماركس إلى ذلك تأميم وسائل الإنتاج وانفراد طبقة العمال بالديكتاتورية والسلطة.

ولا يرى ماركس أثرا لاي عوامل أو قوى غيبية أو إرادة إلهية وراء هذه العوامل المادية تؤثر في التاريخ.. وما الله في نظر ماركس إلا الصنم الذى أقامته البورجوازية لتخضع به الطبقة العاملة وتشغلها بالسجود والركوع بين يديه انتظارا لفردوس وهمى بعد الموت لتخلو لهم الدنيا يستمتعون بثمراتها كما يشامون دون خوف أن ينازعهم العمال امتيازاتهم.. فما الدين في الحقيقة إلا مخدر الفقراء وأفيون الشعوب والحشيش الذى يغيبون به العقول كلما أوشكت أن تصحو وتنفجر على ثورة.

ولهذا جعل ماركس القضاء على الأديان على رأس مخططة

وبدأت الثورة البلشفية بهدم المساجد والكنائس وإحراق الأناجيل والمصاحف واعتقال رجال الدين وإلغاء التربية الدينية من المدارس وتدريس الإلحاد والماركسية كمادة إجبارية للأطفال والكبار.

وقد وقع ماركس في عدة أخطاء قاتلة كانت كفيلة في النهاية بالقضاء على نظريته.

أولاً: اعتمد ماركس في استنباط نظريته عن التاريخ على بعض مراحل تاريخية دون الأخرى.. فكان ينتقى من التاريخ ما يوافق هواه ويهمل ما يناقض فكره.. ومن هنا لا يصح أن تكون للقوانين التي استخرجها صفة الإطلاق على التاريخ كله ولا تصدق عليها صفة القوانين وإنما هي في الحقيقة تلفيقات

وأقوى البراهين على ذلك هي نشأة الإسلام فإنه يمكن الإسلام قط من إفراز النظام الطبقي في قريش، ولم يكن ديناً رجعياً يحفظ للظالمين المستبدين أموالهم وامتيازاتهم، ولم يكن مخدراً للفقراء دافعاً لهم على قبول فقرهم، فقد دعا الإسلام إلى التمتع بالحياة في اعتدال ودعا إلى قتال الظالمين المستغلين.

ولم يأت الإسلام نتيجة انقلاب مناظر في نظام الإنتاج وعلاقات الإنتاج في قريش.. وإنما جاء كظاهرة فوقية مستقلة عن البيئة.

فقد جاء الإسلام من البداية مقرراً المساواة في الفرص وضمان حق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن الاقتصادي بين الفرد والمجتمع وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر الموجه.. وجاء بكل ذلك في الجزيرة العربية في وقت لم تكن ظروف الإنتاج وعلاقات الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن نقول إن ما حدث كان انبثاقاً من واقع اقتصادي.. وتحدى بذلك منطق الماركسية التاريخي وحساباتها المادية التي تحتم انبثاق كل انقلاب سياسي من انقلاب مناظر في الإنتاج وعلاقاته.

ثانياً: وقع الفكر الماركسي في تناقض أساسي بين كونه فكراً يدعو إلى التضحية والبذل من أجل الآخرين وبين كونه فكراً محروماً من الحافز الديني والمبدأ الروحي.. والدين كما هو معلوم يعد الإنسان بأعظم طاقة ليضحي ويبذل بلا حدود وعن طيب خاطر.

وهكذا أصبحت الماركسية تطالب بالنقاء الثوري والتضحية والولاء ثم تجعل هذه الأخلاقيات مستحيلة بالفكر والنظرية (بحكم مادية النظر إلى الأشياء).

وهكذا تصور الماركسيون الماديون أن ثلاث وجبات دسمة يمكن أن تكون حياة كافياً لإنسان يعلم أنه ولد ليموت.. إنسان كتب عليه أن يتألم وحده.. ويشيخ وحده.. ويموت وحده.. وتصوروا أن الولاء يمكن أن يشتري بالمرتب والمكافأة

إن لم يشتر بالخوف من قطع العيش.. وكان هذا وهما كبيرا.

وانها كلمة قديمة جدا.. «إنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان».. وإننا إذا كنا نولد لنموت فإن الدين الذي يقدم لنا حياة مطلقة ويعثا وخلودا هو أمر لا يمكن شطبه بجرة قلم ولا يمكن محاربته بخزعبلات نظرية

وقد وجد ستالين نفسه أمام هذا التناقض الذي لا حل له حينما هجم الجيش النازي على روسيا وبلغ أبواب ستالينجراد.. فقد رأى الفلاح الروسي يقف متخاذلا لا يعرف لماذا يحارب ولماذا يموت ولا بعث بعد الموت ولا جنة ولا تكريم لشهيد..

لقد سلبت منه الشيوعية الجنة وسرقت منه الخلود فلم يعد يتحمس لشيء.

ولم يجد ستالين بدا من أن يعود فيبينى الكنائس ويفتح المساجد ليحيى القلوب التي ماتت.

وتغيرت التعليمات لكل الخلايا الشيوعية.. وجاءت الأوامر الجديدة.

لا تذكروا الدين بسوء.. ولا تتعرضوا لله.. ولا تناقشوا في الغيبيات.. وإذا سئلتكم في ذلك فقولوا: هي مسائل غير مطروحة.. وليس هذا أوانها.

ولم تنفع هذه الاستراتيجية الجديدة في علاج الشكوك التي تحركت في الصدور.

وعاد أنبياء الكرملين فاجتمعوا وانفضوا.

ثم عادوا فأصدروا تعليمات جديدة.. وسمعنا عن بعثات حج روسية تخرج من موسكو إلى مكة.. وسمعنا عن مفت إسلامي يفتي في روسيا البلشقية.

ولبس بعض الماركسيين طرحة إسلامية.

ولم ينفع هذا الصلح الانتهازي مع الدين.

ولكنه كشف للماركسيين أنفسهم عن ثغرة في نظريتهم لا حل لها.

ثالثا: ذلك العامل الاقتصادي الواحد الذي جعل منه ماركس إلها تصدر عنه كل الأشياء وسببا وحيدا تتداعى من ورائه كل التغيرات التاريخية والحضارية فيما يسميه بالتفسير المادي للتاريخ.

هذه الفكرة سقطت علميا والرأي السائد الآن أنه في ميدان الظواهر الاجتماعية لا يوجد سبب واحد مستقل منفصل وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر في بعضها تأثيرات متقابلة.. فالعامل الجوهري اليوم يمكن أن يصبح عاملا ثانويا في الغد.

والعامل الاقتصادي بهذا لا يصلح أن يكون إلها تصدر عنه الأشياء وإنما هناك العامل القومي والنفسي والعنصري والعقائدي يمكن أن تشكل التاريخ بأقوى مما يشكله العامل الاقتصادي.. وبين الصين وروسيا صراع سوف يشكل التاريخ ومع ذلك فهو ليس صراعا طبقيًا ولا اقتصاديًا، فالدولتان كلتاهما شيوعية وقيادة البروليتاريا.

رابعاً: كانت دكتاتورية البروليتاريا انتقالا بالمجتمع من ظلم طبقى إلى ظلم طبقى آخر.. وكانت استبدالاً للاستغلال الموجود باستغلال آخر أشمل وأسوأ وأعم.. فقد جاء الحزب الحاكم الجديد وجاء معه بزيانية مراكز القوى ليسجنوا ويعتقلوا ويظلموا ويستبدوا للحفاظ على امتياز الذين تميزوا وسلطان الذين تسلطوا.. وهكذا نقلوا المجتمع من طغيان إلى طغيان أفدح وأشاعوا مناخاً من الرعب والصمت الرهيب والخرس الذى قطعت فيه اللسان وكسرت الأقلام وكتمت الأفواه.. فالصحف جميعاً ملك للسادة الجالسين فى مراكز القوى وسياط الرقابة مسلطة على الجميع.

وهذه أمور جريئها واحترقنا بنارها ونعرف تماماً ماذا تعنى.

← وكان ماركس مبالغاً أشد المبالغة فى تلك الهالة الأسطورية التى أضفاها على البروليتاريا (طبقة العمال) فى كلامه عن نقاء البروليتاريا وطهارة البروليتاريا وكأنها شعب الله المختار أو

جنس آخر قادم من المريخ.. ونسى أن العامل والمثقف ومالك الأرض هم غالباً أفراد أسرة واحدة.

وقد أقام ماركس نظريته على ظروف القرن التاسع عشر الصناعية المتخلفة حيث العامل يدوى كادح مطحون مسحوق لا يكاد يجد لقمة.. ولم يتصور ما ستحدثه ثورة العلم والتكنولوجيا فى القرن العشرين حيث العامل رجل مرفه يجلس أمام أزرار وآلات إلكترونية ومن وراءه نقابات عمالية وقوانين للتأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض تحفظ له حقه.

ثم ها نحن أولاء، نرى أمامنا الطبقة العاملة نفسها تنشق إلى طبقتين متناقضتين نتيجة تفاوت الدخل مما العمال المؤهلون والعمال غير المؤهلين تنتج عنها فئة أرسقراطية وفئة شعبية من العمال أنفسهم.

والنتيجة كانت انفصال الفكر الماركسى عن واقع القرن الذى نعيشه ورجعيته وتخلفه قياساً إلى ظروف عصرنا.

خامساً: هذا التعسف المنهجى الذى اتسمت به الماركسية وإصرارها على أن تكون فكراً شمولياً يجيب عن كل شىء ويبتكر الحل لكل معضلة ويفتح كل باب ويجاوب على كل سؤال. ثم ادعاؤها لحتمية قوانينها.. مع أنه من الأمور المعلومة أنه لا حتمية فى الأمور الإنسانية.. لأن الناس ليسوا جمادات مثل كرات البيليارد ولا هم آلات صماء كتروس الساعات يمكن حساب حركاتها والقول بحتميتها والتنبؤ بها.



كارل ماركس

(عام ١٨٧٥)
أخطأ في كل تنبؤاته

ولهذا أخطأ ماركس في جميع تنبؤاته.. فقال بخروج الشيوعية من مجتمع صناعي رأسمالي متقدم مثل إنجلترا وألمانيا فكذب التاريخ نبوءته وخرجت الشيوعية من بلد زراعي متخلف كالصين.

وتنبأ باتساع هوة الخلاف بين البورجوازية والبروليتاريا في الدول الرأسمالية بشكل مطرد إلى أن يتفاقم الوضع إلى ثورة تغلب العالم كله، ولكن ما حدث في المجتمعات الرأسمالية كان العكس وهو مزيد من التقارب بين الطبقات عقب سلسلة من الإجراءات الإصلاحية والأنشطة النقابية في حين انطلق الصراع وتفاقم بين دول العالم الاشتراكي نفسه مثل الصراع بين روسيا والصين.

وتنبأ ماركس بازدياد تركز رموس الأموال في احتكارات هائلة يزداد معها غنى الاغنياء وفقر الفقراء ولكن الذي حدث كان اتجاهها إلى تفتيت رموس الأموال عن طريق الشركات المساهمة وتفتيت الملكيات الزراعية من تلقاء نفسها بالميراث.

وتنبأ ماركس بالازمة الاقتصادية الماحقة التي تسحق النظام الرأسمالي بسبب ازدياد إجمالي الإنتاج عن معدل الطلب والقدرة الشرائية نتيجة فقر العمال المدقع.. ولكن الملاحظ إلى الآن أن كل أزمات الرأسمالية ذات طابع عرضي.

وأخطأ ماركس في نظريته عن فائض القيمة وقال بأن أجر

العامل في النظام الرأسمالي يتحدد على أساس الحد الأدنى
اللازم لمعيشته.. ولكن الواقع كذب هذه التقديرات بفضل
التشريعات الجديدة والتعديلات التي أدخلها النظام الرأسمالي
على نفسه فارتفع أجر العامل في دول أوربية كثيرة إلى مستوى
رخاء ملحوظ سبق به زميله في الدول الاشتراكية.

وحاولت الماركسية أن تحمي نفسها بالتعصب وإطلاق
الشعارات وادعاء العلمية والتقدمية واتهام المخالفين في
أخلاقهم فهم خونة ورجعيون متعفنون، فأصبح الشيوعي مثلاً
للجمود والتزمت وضيق الأفق والتبعية في الرأي والصلافة
والغلظة.

سادساً: أدى التأميم الشامل حيثما طبق وفي أي بلد إلى
هبوط في الانتاج وإلى كارثة اقتصادية.

وقال خرشوف كلمته الشهيرة إن البقرة التي يملكها
صاحبها تدر من اللبن أكثر من البقرة التي تملكها الدولة..
هالداً بذلك كل فلسفة ماركس في التأميم والملكية الاشتراكية.

وكان التأميم يجبر وراءه اللامبالاة والإهمال والكسل
والبيروقراطية وسوء الإنتاج.

وأمام خطر البيروقراطية الذي استشرى في كل البلاد
الاشتراكية راح أنبياء الكرملين يجتمعون وينفضون ويقعدون
الأذهان ثم خرجوا علينا بفلسفة الحوافز.

ولكن الحوافز لم تفعل شيئا.. بل كانت نوعا من الرشوة أدت إلى طمع من يأخذ وحقد من لا يأخذ.. ثم إلى مزيد من الصراعات واستمرار في هبوط الإنتاج.

ورأينا روسيا التي تملك أكبر حقول القمح في أوكرانيا تطلب القمح من أمريكا وتفتح بلادها للمصانع الأمريكية ولقرواع البنوك الأمريكية.

بعد أن نزعوا ملكية المواطن الروسى سمحوا بالملكية والاستثمار لرأس المال الأمريكى.

نهاية أشبه بالنكته.

وقد كان التأميم محكوما عليه بالفشل من البداية.. وكان الفساد في المبدأ وليس في التطبيق لأنه مضاد للقطرة.

والحضارة من فكر وفن وصناعة هى في النهاية ثمرة ملكات أفراد ومواهب وتطلعات أفراد.. وإذا حصرنا تلك الملكات مجالها الحر وسجنائها في ديوان موظفين تعمل في روتين والبيئة بلا طموح انتهت إلى العقم والكسل والبلادة.

ثم إن نظام التأميم يسد كل أبواب الرزق ولا يبقى للناس إلا باب التوظيف بالحكومة وبذلك لا تعود هناك وسيلة لضمان اللقمة سوى النفاق للحاكم والتعلق للرؤساء والانتهازية والشللية والتبليغ والتخابر والتجسس والعمالة، وبذلك يتحول المجتمع تلقائيا إلى غابة من الناس يأكل بعضهم بعضا.

والعامل وقد رأى أمامه أباطرة العمال وقياصرة الأرض يعرفون عن أملاكهم بكل سهولة ويطردون أصبح يشعر بأن هيبة كل كبير قد سقطت نهائيا، فهو يتحول بغريزته دون أن يدري إلى من هو فوقه يحاول أن يسحب منه الكرسى ليقفز مكانه.

والصراع الطبقي بين الفلاح وصاحب الأرض وبين العامل وصاحب العمل وقد وجد فرصته - ينتشر كما تنتشر النار في الهشيم فيتحول إلى منطق يحكم المجتمع كله، فإذا بكل من هو أدنى ينظر في تريض إلى كل من هو أعلى فيتمزق المجتمع إلى ملايين يطعن بعضهم بعضا وينقسم الكل إلى جبهات متقاتلة متباغضة، سكان وأصحاب مساكن محررين ورؤساء تحرير.. عساكر وضباط.. موظفين ومديرين.. خدام ومخدومين.. كل مرعوس يتحين الفرصة ليطعن رئيسه ويحل محله بحق أو بغير حق.. فإن ما حدث في القمة قد أعطى المثل للقاعدة وتلفته الأحقاد لينتشر في حرب داخلية صامتة تستنزف الموارد لآخر ملين في مكائد ورشاوى وسرقات واختلاسات لا آخر لها.

يقول تروتسكى وهو أحد أنبياء الاشتراكية:

إن بين شكوى الفرد وطموحه وضعا نفسيا فيه الكثير من كوامن الحقد.. والحقد هو أسهل معاول الصراع الطبقي.

هذا هو كلام تروتسكى، وهو اعتراف صريح بشرعية الحقد

عند هؤلاء المخربين وشرعية استخدامه لقلب المجتمع.

وهذا هو ما أشار إليه الرئيس السادات في كلمته التاريخية حينما قال:

- لقد ترك لى عبد الناصر تركة من الحقد لا أجد لها إلى الآن حلا.

ثم إن التاميم الذى انتزع المصانع من يد خمسة أو ستة رأسماليين مستغلين قد سلمها إلى مائة ألف لص في المؤسسات والجمعيات التعاونية ينهبونها.

والمنتج الرأسمالى كان على الأقل أستاذا في مهنته وكان بدافع مصلحته يتفنى ويبتكر ويبذل ويعطى المستهلك أقصى إجابة ليحصل على أقصى ربح.. أما المائة ألف لص في المؤسسات والجمعيات التعاونية فلا علم لهم بالحرفة وهم لا يبتكرون ولا يبذلون ولا يعملون ولا يعطون.. وإنما كل مهم هو التسابق على النهب والسلب.. والنتيجة هي الكارثة الاقتصادية التى وقع فيها كل من طبق التاميم على نطاق واسع.

هذه إذن هي الماركسية ولم يكن ما حدث من مظالم في البلاد الشيوعية سببه عيوب في التطبيق.. بل كان العيب في صلب النظرية ذاتها.

وقد انتهت الماركسية من العالم كفكر.

ولكن الماركسيين في بلادنا وقد كسدت بضاعتهم عادوا إلى التسلل بأساليب أخرى. هذه المرة بوجوه إسلامية ولغة إسلامية محاولين ركوب الموجة الدينية وتلفيق حلف بين الماركسيين والإسلام.

ورأينا خالد محيى الدين يضع نيشان لينين على صدره ومصحف محمد في يده.. ويكتب مقالا طويلا غريبا في روز اليوسف عن الماركسي المسلم يقول فيه بالحرف الواحد:

«ولماذا لا نضيف إلى الماركسية بعدا روحيا،

ناسيا بذلك أنه يفترى على ماركس في قبره ويفترى على محمد في مثواه وأنه يزيف لنا الاثنين في نفس الوقت.

وماذا يقول خالد فيما كتبه زعماءه في كتبهم.

ماذا يقول في كلمة لينين القاطعة.

إننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الله إلا استغلا.

ليشير

الدستور والأخلاق والدين خدعة بورجوازية تقستر من ورائها البورجوازية من أجل مطامعها.

المانفستو الشيوعى

الفكر لم يخلق المادة وإنما المادة هي التي خلقت الفكر.
إنجلز

العالم يتطور تبعا لقوانين المادة وهو ليس بحاجة إلى أى عقل كلى.

ستالين (المادية الجدلية)

كيف سيصنع لنا خالد محيي الدين من هذه الماركسية
المادية الملحدة ومن الإسلام الصافي العذب المؤمن تركيبا
منطقيا.. .. وكل من المذهبين يرفض الآخر كلية.

كيف يصنع من الإيمان والإنكار رجلا إلا أن يكون رجلا
متناقضا مصابا بانفصام الشخصية لا يصلح لشيء.

وإذا سلخ من المذهب ماديته وإلحاده فإنه سيفترى على
ماركس إذا سمى ما تبقى في يده من فكر مسلوخ.. ماركسية.

ثم ما الداعي لكل هذا الاعتساف والافتعال والتمسك
بفلسفة هو نفسه يكذبها ويلعنها كل يوم خمس مرات في
صلواته.

كيف يلعن هذه الفلسفة على السجادة ثم يعود فيروجها بين
الجماهير.

وَألف سؤال وسؤال دار في ذهني وأنا أقرأ هذا المقال
الغريب.



ستالين

قتل الملايين في السجون

والظاهر أن الأخ خالد محيي الدين قد خلا إلى نفسه وأعاد النظر ثم وجد أن الاستمرار في هذه النعمة لن يجدي.. فعاد فأعلن أنه ليس ماركسيا وأنه لا يعتنق الماركسية وإنما هو يفكر تفكيراً مستقلاً ويحاول أن ينتقى من أفكار ماركس وتراثه ما يصلح، نابذاً ومستبعداً كل ما هو إلحادي وكل ما هو فاسد.

ولا أدري ماذا بقي صالحاً من أفكار ماركس وقد استعرضناها بندا بندا.

وقد انتهت الماركسية كفكر من العالم ولم تبق منها إلا شعارات تهيج وتحريض يتداولها المخربون في الدول النامية لأغراض معروفة.

والذين يؤمنون بالماركسية في مصر هم شباب لا يقرءون ولا يتابعون ما يجري في الدنيا.

والقائلون بأن الماركسية نجحت وانتشرت.. أقول لهم نعم انتشرت ولكن كيف.. كتشديد وتعبئة لثأر قديم وغسل حمله الأحفاد عن الآباء عن الأجداد يطحنونه تحت أضراسهم حتى وجد من ينظمه ويوزع عليه السلاح.

نجحت الفكرة كانتقام وتنفيس عن أحقاد مكبوتة ونجحت كتشديد عسكري مادي تكنولوجي.

ولكن ألم تنجح اليابان في الخروج من دمار القنبلة الذرية ومن الهزيمة الكاملة إلى ذروة القوة الاقتصادية بفضل نظام

رأسمالى يرى الماركسيون أنفسهم أنه نظام خاطئ؟

إن نجاح فكرة لا يعنى دائما صوابها.. فقد تنتشر الافكار الخاطئة لمجرد أنها تلقى ترحيبا من غرائز الناس وأهوائهم.. وما أسهل تحريض الجياح على الشبعانيين.

ثم إن النجاح في جانب لا يعنى النجاح في كل جانب.. فقد تنجح الثورة في بناء مصنع ثم تفشل في بناء إنسان..

ثم ما حاجتنا إلى ترقيع حضارتنا وشخصيتنا العربية الاصلية بالأجنبى والمستورد من حضارات عجمت وفشلت وشاخت وهى بعد في ميلادها.

وما معنى هذا المنبر المصنوع من ألف رقعة ورقعة.. رقعة إسلامية مع رقعة ماركسية مع رقعة لينينية، مع رقعة ناصرية مع رقعة تيتوية.

إلى متى هذا الضياع..

وإذا كان خالد مسلما حقا فلماذا لا يصفى إلى صوت الإسلام العذب الصافي ويأخذ من نبعه ويستمد من مدده الذى لا يكف عن الفيض والعطاء ويصفى إلى الرب الكريم الواحد، ولا يشرك معه هؤلاء النكرات الذين أنكروه وسبوا أنبياءه وحرقوا كتبه.

ماذا يقول لنا الإسلام..

إن الإسلام لا يتعلق الكثرة.. ولا يحرك كتل الفلاحين ليضرب بها الملاك، ولا يحرك كتل العمال ليضرب بها الطلبة وأصحاب الاعمال.. ولا يداهن الاغلبية بل يذمها لانها على جهل.

(أكثر الناس لا يعلمون) [٢١ - يوسف]

(أكثر الناس لا يؤمنون) [٥٩ - غافر]

(بل أكثرهم لا يعقلون) [٦٢ - العنكبوت]

(إن يتبعون إلا الظن) [١١٦ - الانعام]

(إن هم إلا كالانعام بل هم أضل) [٤٤ - الفرقان]

(لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون)

[٧ - يس]

(فأبى أكثر الناس إلا كفورا) [٨٩ - الإسراء]

(وما وجدنا لأكثرهم من عهد إن وجدنا أكثرهم لفاسقين)

[١٠٢ - الاعراف]

(وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله)

[١١٦ - الانعام]

(وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا)
[٢٦ - يونس]

(بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون)
[٧٠ - المؤمنون]

الاجلبية دائما عبىء هوى. ولذلآ فهى أسهل استءراجا إلى الباطل.. ولو أن محمءا بءأ الءعوة إلى الاسلام باستفتاء شعبى فى مكة.. أئهما تعبءون: الله الواءء؁ أم الاصنام؟ لءاءت النئيجة ٩٩,٩٪ مع الاصنام ولماء الإسلام يوم مولءه. وقءىما أءمعت الاجلبية على إءءام سقراط وءرق برونو وسجن غالىلو.

فالاجلبية هى الفوءاء.. ولا يتملق الفوءاء إلا الفوءاءئون وأهل المءاهب الفوءاءئة مثل إءواننا الماركسئىن الءئىن يصرخون هاءفن فى الأبواق؁ وئرفعون لافتاء الشعب والءماهىر والءاءءىن والمطءونىن والمسءوقىن والءىاع والعمال والفلاءىن.

وهذا هو الفرق بئى الإسلام وبئى هذه العقائء الفوءاءئة.. فالإسلام يءاطب العقل وئناشء الصفة وئضع أهل العلم وقاءة الثقافة فى مقءمة العربء الاجءماعئة.

«ءىاركم فى الءاهلئة ءىاركم فى الإسلام إذا فقءوا».

«ءءىء شرف»

وئئب هذه الصفة المئئءبة للقاء والرىاءة.

أما الماركسئون فىءركون كئل الفوءاء وئتملقون كئرة — العمال والفلاءىن وئناءونهم بالطلئة وصناع الءارىء وئناء المسئقبل؁ لا عن صءق وإقئناع ولكن عن انئهازئة لئسئعملوهم فى عملفاء الئهىىء والءءرىض.. يضربون بهم كئل المءئمع بءعضا ببعض وئءءون كل فئة بالاءرى وئشفلون الكل بالصراع الطبقى العءمر لئسلم لهم مرىع السلطة الءى ءلسون علىه ىءىرون منه عملفاء المءابء وئملئون المءقلاء باسم الءرىة والئقءمئة ومصلحة الءماهىر وئءفون مءططهم الءموى فى ضوءاء المسىراء الشبابة وئئىن الاغانى الشعبئة وضءىء الإءاعات وصراح الشعارات فى مءاولة مسئمر لإئارة غرىزة القطىع وئءشئء الءماهىر فى مواءة أى معارضة.

وهذه هى واءة العصر السئاسئة.

همءئة منظمة.. وفوءاءئة ظاهرها علمانى ءاءع.

الصراع الطبقى ىسمونه عءالة.

والءقء ىسمونه إنسانئة والءهالة ىسمونها علما.

والرجئة قءءما.

والاعئقالات والاسالئب البولئسئة ءءرىرا.

ثم المئقفون يضربون بالعمال.. والءلاك يضربون بالفلاءىن؁



ليئين

نحن لا نؤمن بالله

والاغنياء بالفقراء، والرموس الكبيرة بالرموس الصغيرة.. ليصفو
الامر في النهاية لفئة وطبقة جديدة تملك وتحكم وتستبد وتتسلط
باسم الحزب والنظرية وتستمتع بما لم يستمتع به رأسمالي أو
إقطاعي.. وقد صدقت عليهم كلمة «المعري»:

إنما هذه المذاهب أسباب
لجلب الدنيا إلى الرؤساء

فهي انتهازية جديدة وإن لبست نسوح العلم ورفعت
شعارات التقدم وتكلمت باسم الكادحين.

والإسلام يحترم الكادح واحترم الفلاح وأشاد بالعمل
المخلص..

ألم يكن داود النبي حدادا.. وإدريس النبي خياطا.. ونوح
النبي نجارا.. ومحمد النبي الخاتم عليه صلوات الله وسلامه
واعيا للغنم؟

والعامل والطالب والمثقف والفلاح يخرجون من أسرة واحدة
وهم أب وابن وأخ وعم وخال..

والفقر والغنى حالات تتداول على الناس كلهم.. غنى اليوم
كان فقير الأمس أو كان ابنا لفقير الأمس.. فلماذا نضرب
الناس بالناس ونحرض الناس على الناس.. ونشعل الأحقاد
ونثير الفتن.

أين هذا الحقد الأسود من بساطة الإسلام ونقاته. الإسلام
الذي أفتح آياته بالعلم:

(اقرأ باسم ربك).

[١ - العلق]

ثم قرن العلم بالعمل:

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم)

[١٠٥ - التوبة]

وشرط نجاح العمل بصلاح النية وإيمان القلب:

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)

[٧ - البينة]

وجعل الوسيلة إلى العدل الاجتماعي تراحمًا وتعاونًا وترابطًا
وليس تصارعًا وتناحرًا طبقيا:

(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)

[١٠ - الحجرات]

وجعل حرية الفرد وكرامته وأمنه وحياته حقا أوليا.. من
اغتال هذه الحق فقد اغتال الإنسانية كلها:

(من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل
الناس جميعا، ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا)

[٢٢ - المائدة]

وجعل نصيب الفقير في عنق الغنى حقا لا صدقة :

(في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)

[٢٤ - المعارج]

وجعل من حق الحاكم أن يجبي هذه الاموال زكاة ثم ضرائب إضافية إذا دعت الحاجة دونها مساس بالملكية الفردية، ودون مصادرة لنشاط الفرد مادام لا يخالف شرعا ولا يضر بمصلحة.

بهذا الدستور البسيط المحكم سبق الإسلام جميع النظم التي جاءت بعده من رأسمالية إلى شيوعية إلى اشتراكية كما سبق ميثاق حقوق الانسان.. وكان أول صيحة تحرير متكاملة لروح الإنسان وجسده منذ أربعة عشر قرنا.

وهذا هو ديننا.. دين العلم والعدل والحرية.

فما حاجتنا إلى هذا التخليط والترقيع.

وكيف تقف أيها الرفيق خالد بين يدي الله فتتهف له وتهتف لأعدائه في نفس الوقت.

ثم ما هذه الحيلة الجديدة التي ترفعون فيها المصاحف على أسنة المانفستو.. وتطعنون الإسلام.. وتتاجرون باسمه.. وتسبحون لله ولمنكره.

- ثم نكتة هذا العصر.. وأضحكة هذا الزمان : المنظمة

الإسلامية الماركسية!

ولو كان ماركس حيا، لاستلقى على قفاه من الضحك على هذه المنظمة ولبكى غما على ما جرى له وفلسفته.

ألم يعد للماركسية أمل في حياة دون أن تتمسح هذا التمسح الانتهازي بالإسلام، ودون أن تتوسل هذا التوسل الدليل بأعداء الأمس؟

أليس هذا أكبر دليل على أنها ماتت كفكر مع موت صاحبها من أمد طويل؟!

الفصل الثاني

خالد محيي الدين يرد علي د. مصطفى محمود

نحن لا نلعب الماركسية على السجادة

أصبحت الماركسية في مصر حصان طروادة الذي يركبه الجميع حيلة وخداعا، كما أصبحت كبش الفداء لما يحدث في واقعنا، والشماعة التي يعلق عليها أعداء التقدم مآسى الناس، وكأنها أيضا الأخطبوط الذي يتم تحذير الناس منه إبقاء على الأوضاع السيئة والتي تحتاج للتغير ورفضاً لتوعية الناس وتفكيرهم في أوضاعهم الاجتماعية باسم الدين والوطنية.. مع أن الماركسيين كما يدعى أعداؤهم لا يزيد عددهم على خمسمائة أو الألف إلا أن هؤلاء هم الخطر الأكبر على مستقبل الـ ٤٠ مليون مصرى. وهم المسئولون عن ازدياد الأسعار وزيادة التفاوت في الدخل وسوء استخدام السلطة برغم أنهم ليسوا في السلطة ولم يكونوا فيها أبدا.

صفحات كاملة في أخبار اليوم للهجوم على الماركسية وإثبات فشلها ونهايتها في كل مكان وإذا كان الأمر كذلك

والماركسية في طريقها إلى الفشل والتراجع في كل مكان فلماذا هذه الحملة الشديدة عليها وتبصير الناس بأخطارها، وهي النظرية التي ثبت فشلها في التطبيق والممارسة والحياة وهي في طريقها نحو الانحلال والذبول..

ولماذا الهجوم الضار على تنظيمنا واتهامه بالماركسية مع أنه نبع من المؤسسات الدستورية لثورة التصحيح وأعلن الرئيس أنور السادات أنه تنظيم شرعي يسير على النقاط الثلاث: الوحدة الوطنية واستمرار التحول الاشتراكي والسلام الاجتماعي، واطلع ٥٦٠ عضوا من مجلس الشعب واللجنة المركزية على برنامجه وأقروا قيامه وممارسة نشاطه بأغلبية ساحقة.

بدأت الحملات من قلة معروفة من رجال الدين والصحفيين ثم انتهت بالكتاب المرموقين وآخرها مقال الدكتور مصطفى محمود.

إنجاز كامل

والدكتور مصطفى محمود عرف في أوساط الكتاب طوال السنوات الماضية بإلحاده الشديد ولم يعرف يوما بأنه ماركسي ثم هداه الله إلى الإيمان وكان حماسه للإيمان فياضاً تسمعه في الإذاعة وتقرأ له في الصحافة فقلنا خيراً، وإذا به أخيراً ينزل إلى معركة الصراع الاجتماعي وينحاز بوضوح كامل إلى جانب

الرأسمالية والطفيلية المصرية والعالمية وضد كل أنواع التأميم وينادي بالاقتصاد الحر. والغريب أنه ربط هذا الاتجاه بالدين الإسلامي..

وهجوم الدكتور مصطفى محمود على الماركسية والبلاد الاشتراكية كنظرية وتطبيق ليس الموضوع الرئيسي الذي سوف أتناوله في الرد، فبرغم السطحية الشديدة في كتابات الدكتور مصطفى محمود عن الماركسية والتطبيق الاشتراكي في البلاد الاشتراكية.. يظهر أن الدكتور مصطفى محمود قد توقف في قراءته عن الماركسية والاتحاد السوفيتي والبلاد الاشتراكية الأخرى عند الخمسينات وهي الفترة التي يقول فيها إنه زار المجر ورومانيا وألمانيا وكل أوروبا الاشتراكية. وإن ماراه ترك في نفسه انطبعا سيئا وإن مطالعته لما يجري في البلاد الاشتراكية الأوروبية أي أوروبا الاشتراكية الشرقية وذلك طبعاً من الصحف الغربية أعطاه الانطباع والاقتناع الكامل بأن الماركسية في طريقها إلى الانهيار الكامل. وأنا لن أتوقف كثيراً عند هذه النقطة فهذا موضوع كبير لن يحسمه مقال للدكتور مصطفى محمود ثم ردى عليه فهذا صراع تاريخي كبير سوف يحسم على أرض الواقع العالمي المهم أن يكون الدكتور مصطفى محمود متأكداً من المعلومات التي أوردها في هذا المجال، إذ أن إحصائيات الأمم المتحدة والواقع العالمي يكذبان المعلومات التي أوردها عن اقتصاد الاتحاد السوفيتي

ويظهر أن الانهيار الاقتصادي والسياسي للماركسية هو أمل دفين في عقل الدكتور مصطفى محمود - ولنتترك صدق الماركسية وعدم صدقها علميا للتجربة التاريخية، فليس هذا موضوعا بهم الشعب المصري حاليا - فلا أحد يرفع راية إقامة اقتصاد ماركسي في مصر أو سلطة ماركسية سياسية، ولا الماركسية أحد البرامج المطروحة سياسيا بين برامج التنظيمات الثلاثة.. إن النقطة المطروحة على شعبنا اليوم هي الحفاظ على استقلاله الوطني السياسي والاقتصادي واستمرار تحوله الاجتماعي التقدمي.

ولكن المشكلة الكبرى والهامة هي أن الدكتور مصطفى محمود يهاجم تحت ستار هجومه على الماركسية كل التجربة المصرية السابقة ويهاجم التأمين وبالتالي كل منجزات التحول الاجتماعي التي تمت لصالح العمال والفلاحين - فقد اعتبر تأمين المصانع كارثة أخذت المصانع من يد خمسة أو ستة رأسماليين وسلمتها إلى مائة ألف لص في المصانع والجمعيات لا علم لهم بالحرفة أو العمل ولذلك يجب أن تعود المصانع لأصحابها يستغلون آلاف العمال، وأن تعاد الأراضي أيضا لأصحابها يستغلون الفلاحين مرة أخرى، وهذا في نظره يسير في خط كامل مع مبادئ الدين الإسلامي كما يقول وأعطانا تفسيراً خاصاً لما يفهمه من المبادئ الإسلامية يريد أن يكون

دستورا لهذا البلد وإلا فنحن ماركسيون عملاء نستورد الفكرة من الخارج ونبتعد عن أصالتنا وحضارتنا وشخصيتنا العربية.

ولنتترك موضوع الأفكار المستوردة جانبا يا دكتور مصطفى.. فنحن سعداء بأنك قد تحولت إلى مفكر إسلامي عميق الفهم للدين - وقل لنا بصراحة رأيك في المشكلات التي تواجه بلادنا اليوم - فبلادنا مازالت تواجه احتلالا أجنبيا وتريد إنهاءه - واقتصادنا يمر بأزمة شديدة باعتراف الجميع. فمصر تستهلك أكثر مما تنتج حسب بيان وزير التخطيط في اللجنة في ديسمبر ١٩٧٥... ومطلوب أن تقوم مصر بالتعمير والتنمية الاقتصادية والصرف على الدفاع في نفس الوقت ومواردها محدودة وفي ظروف مالية صعبة. كما أن التفاوت في الدخل يزداد والأسعار في ارتفاع جنوني والأغلبية الساحقة تتدهور معيشتها يوما بعد يوم أمام ارتفاع الأسعار وأزمات التموين.

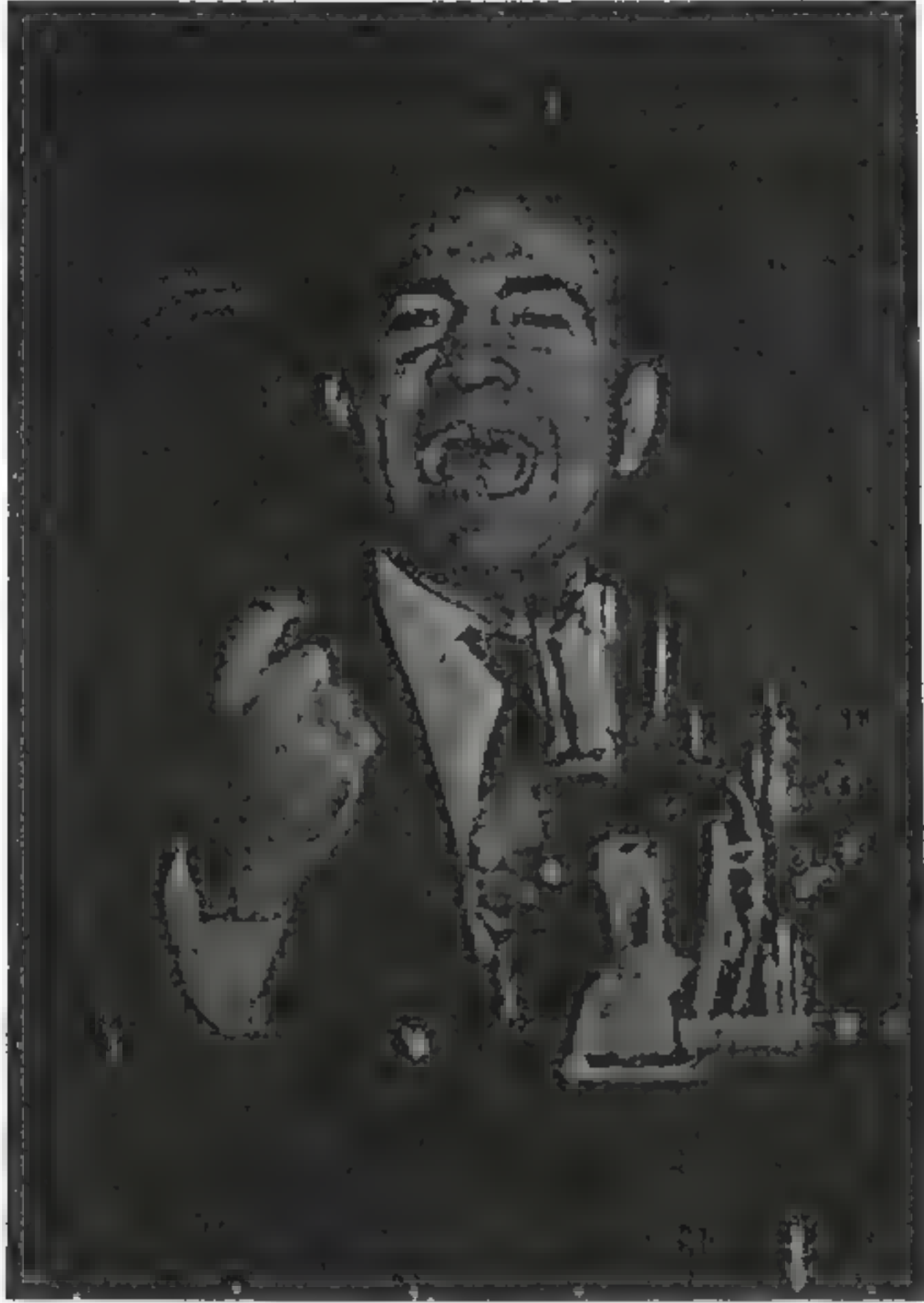
ما هو رأيك يا دكتور؟

وما هو رأيك وبرنامج العمل لحل مشكلات بلادنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية باعتبارك مفكرا إسلاميا عميق الفهم للدين والتراث حتى نتمكن من الخروج من الأزمات الحالية.. وفي نظرنا هذا هو الطريق العملي الوحيد لإسكانتنا والاقتناع بصواب رأيك والاعتراف بأخطائنا كما نتصور.. هناك مشكلات عملية تواجه بلادنا وجماهير شعبنا -

لماذا لا تناقش الوسائل العلمية لحلها ووسائل درء الأخطار
التي تهدد بلادنا مع دخول رموس الأموال الأجنبية.

وفي اعتقادي أننا لو بدأنا النقاش العملي والجاد والمخلص
لحل مشكلات شعبنا فربما يظهر إما اتفاقنا أو اختلافنا في
المناهج، ويتحدد جوهرها مع من يقف كل منا وإلى أي القوى
ينتمي ويدافع.. وتعرف الجماهير في بلادنا وهي واعية، أي
المناهج هو الذي يحقق لها أهدافها وأمالها وسوف ننحاز إليه،
ونحن قدمنا إلى جماهير شعبنا مشروع برنامج للخطوط
العريضة للتجمع الوطني التقدمي الذي يجمع في صفوفه كل
القوى الوطنية التقدمية الوجدية - وفي تصورنا أن مشروع
البرنامج يقدم الحلول والمنهج لحل مشاكل بلادنا الأساسية..

ونحن سنكون سعداء لو بدأت مناقشة برنامجنا وهو الموقف
الآخر الذي يحدد أهدافنا للعمل السياسي بدلا من الدخول مع
قوى الغزو الأجنبي في هذه المعركة الموجهة إلى صدور
تنظيمنا الذي أحاطته جماهير بلادنا العاملة بكل تقدير
واحترام ومحبة.. وهذا في تقديري السبب الأكبر لفزع كل
القوى المعادية للتقدم في بلادنا والتي تصورت أن تنظيمنا
سيولد ضعيفا صغيرا - وإذا به يولد قويا تحميه سواعد
الجماهير وأمالها وأعطينا الجماهير المصرية الشابة كل تقدير
ومحبة ومساندة وهذا ما أفزع كل القوى الساعية إلى وقف
عجلة التقدم والتي ترى في تطبيق برنامجنا حرمانا لها من



خالد محيى الدين
الاستفادة من كارل ماركس

استغلالها البشع لجماهير شعبنا وسلب مكتسبات شعبنا التي ناضل في سنواته العشرين الماضية ليصل إليها - وهذا هو سر الحملة الشرسة التي توجه إلينا، خصوصا أن خصومنا السياسيين يواجهون عجزا متزايدا عن تقديم الحلول العلمية القصيرة المدى والطويلة المدى لإخراج بلادنا من أزمتها الاقتصادية، وليس أمامهم لإضعاف تأثيرنا على جماهير شعبنا سوى تلك الحملات السياسية الكاذبة التي توجه إلى تنظيمنا والتي تشارك أنت بوعي في تدعيمها تحت ستار الدين والدين منها براء.

فنحن لا نسعى إلى صلح انتهازى بين الماركسية والإسلام كما تقول، ولكننا نهدف مع مجموعة مفكرينا إلى فهم صحيح للإسلام وتفسير علمي عصري له تحقيقا لمطالب عصرنا في الثورة الوطنية والاجتماعية، ولا نسكت على الصلح الانتهازى بين الرأسمالية والدين، لأنه في نظرنا هو الأخطر على مكتسباتنا الوطنية والاجتماعية أمام هجمات الاستعمار الجديد والشركات العالمية الاحتكارية المتعددة الجنسية

وأنا لم أكتب مقالا عن الماركسي المسلم ولكنني قلت إن لماركس أفكارا عن الدين لا أوافق عليها واختلف معه فيها، وإن إيماني بالله لا يمنعني من الاستفادة من اكتشافات ماركس في الاقتصاد والاجتماع والسياسة وليس في الفلسفة.. أما كلمة الماركسي المسلم، فهي كلمة أطلقها روز اليوسف على، ولكني

لم أقل ذلك - كما أنتى لست شديد الحساسية من ماركسى أو الماركسية، ففى نظرى أن. الماركسية علم، وعلينا أن نسترشد بالعلم لحل مشكلات عصرنا مادامنا نحافظ على تراثنا القومى والدينى.. ونحن لا نلعن الماركسية على السجادة كما تدعى، ولكننا على السجادة لا نفعل سوى الابتهاال إلى الله أن يهديننا طريق الصواب وأن يهذى كل الناس وأنت منهم طريق الصواب.. فليست السجادة مكانا للعن أى شىء، أو أى إنسان، فللسجادة أديابها وسلوكها وأنت سيد العارفين..

فنحن نهذف إلى نهضة جذرية عن طريق تفسير الدين حسب مقتضيات العصر - فالإسلام يحتوى على اشتراكية أكثر من ماركس ويسارية أكثر من اليسار.. المهم هو فهم الإسلام فهما صحيحا وتفسيرا لصالح من؟.. لصالح الأغنياء أم الفقراء، لصالح الأقلية أم لصالح الأغلبية، مع إبراز القيم الخالدة فى تراثنا، هذا ما تمليه حاجات العصر، العمل وحده قيمة الإنتاج، الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج - المجتمع اللاتبقى، هذه قيم الإسلام التى تحاول الاشتراكية اليوم أن تجعلها طريقا لحل مشكلات عصرنا وبلدنا.. وبهذا نحن نسير فى طريق واحد، ولسنا مصابين بانفصام الشخصية لأننا ندافع عن مصالح الشعب المصرى وأغلييته الساحقة، وسنكون مصابين بانفصام الشخصية إذا وقفنا إلى جانب القلة من الرأسماليين المستغلين فى بلادنا ومن خارج بلادنا إننا سنكون حينئذ غريباء فى بلادنا وهذه أول خطوات انفصام الشخصية.

المسلم كما نراه

إن المسلم الذى يحارب الظلم الاجتماعى والسياسى لهو ثابت القدم متوازن النفس، متجدد الفكر لأنه فى معركته مجاهد فى سبيل الله - أما الذى يقف مع الفئة المستغلة مع القوى الرأسمالية العالمية التى تستغل الشعوب الإسلامية فهو غير ثابت القدم، غير متوازن النفس..

وما العيب فى أن تحمل جائزة لينين للسلام وهى جائزة دولية للسلام مثلها مثل جائزة نوبل، وقد نالها من البلاد العربية أيضا، الشيخ محمد الأشمر عن سوريا وكمال جنبلاط زعيم القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان وعزيز شريف وزير الدولة العراقى - أليس النضال من أجل السلام عملا يخدم شعوبنا العربية التى تترجح تحت نير الاستعمار والنضال الإسلامى يعادى أول ما يعادى الاستعمار، وهل حمل جائزة من قبل الشيخ محمد الأشمر وحملها وحمل أيضا القرآن.

أما كتاباتك عن الإسلام فنحن والحمد لله نعرفها ونستوعبها من قبلك بسنوات طوال.. فنحن نعرف الدين بأنه فلسفة معينة فى الحياة أو ما يسمى بالمصطلح الفقهى

العقيدة.. ويتبع العقيدة مجموعة من شعائر العبادات ومجموعة من القيم الخلقية، وكلاهما ينمو بالعقيدة وينمى العقيدة، والعقيدة وما يتبعها من عبادات وأخلاق هي جوهر الدين وأساسه، ليس من حيث الكيف فحسب، بل من حيث الكم أيضا، فهي تسعة أعشار تعاليمه أو يزيد - وهي التي تبنى الإنسان المؤمن الذي يشتعل قلبه بنور الإيمان ويمتلك ضميرا دينيا يقظا وهذا ما يميز القيادات الإسلامية الأولى في قيادتهم لمصالح شعوبهم على أساس من المحبة والعدل. أما العشر الباقى فهو مجموعة من الأحكام ذات الجوهر الخلقى أيضا لتنظيم وضبط بعض نواحي الحياة الاجتماعية.. فإن هدى الله في أمور الشرع (في غير العبادات) أتى ليقرر قواعد عامة وكلية وأحكاما محدودة أشبه بمنارات على الطريق.. ولكنه لا يرسم الطريق، فالطريق نحن - بعقولنا وتجربتنا وما ننقله من التجارب الأخرى مادامت تقدم لنا مصلحة وتمنع عنا ضررا.. ولكن مهتدين بهدى ديننا - نرسمه ولا يحدد لنا الخطوة، فالخطوة نحن بعقولنا - مهتدين بهدى ديننا - نحن لا نتبع أهواء الضالين والمضللين والذين يفسرون آيات الله الكريم ويجهلون في تأويله وفقا لأهوائهم السياسية وصولا إلى تحقيق مصلحة خاصة. ولنتجادل معا بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن على أساس من الحقائق والوثائق، وليس على أساس من الادعاءات الكاذبة وغير الحقيقية، وألا يلوى عنق الحقيقة خدمة لأغراض معادية لشعبنا ووطننا في مرحلة حاسمة من تاريخنا.

ونحن لا نفهم لماذا تنسب الدعوة لتعميق الاشتراكية وتذويب الفوارق بين الطبقات والعيشة الكريمة وحرية الكلمة والرأى والشورى بكل أصولها والمساواة والعدالة الاجتماعية، ولماذا ينسب كل هذا إلى الماركسية وحدها - وتنسى أنها جميعا في أصول التشريع الإسلامى الحنيف وينصوص جهاز الدستور المحفوظ وهو القرآن الكريم.. كما أنها من سنة رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ومنهجه ومن اتبعه إلى يوم الدين.

هذا آخر رد

إن من أثنى خصوصيات الإنسان عقيدته ووطنيته. والناس جميعا عبيد لله وله سبحانه القول الفصل فينا جميعا والحكم العدل، فهو يعلم السرائر جميعا وأكثر الجاهلين بالدين هم الذين ينصبون أنفسهم أولياء على الغير يكفرونهم حينما شاعوا ومتى تقودهم إليه مصلحتهم.

ولهذا قررنا أن تكون هذه آخر حلقة للنقاش معك يادكتور.. إلا إذا أردت النقاش في سياسات محددة لإخراج بلادنا من أزمتها السياسية والاقتصادية والثقافية - فهنا نحن مستعدون للسير معك إلى آخر الشوط من أجل شعب بلادنا.

إننا مشغولون بإتمام التجربة الديمقراطية في بلادنا دفاعاً
عن حرية الرأي ومصالح الجماهير.. أما غير ذلك من الأوهام
والتصورات والمعارك الوهمية فمثلها كمثل طواحين الهواء، فلن
نعود إليها ولا نريد أن نكرر ما قلناه لك ولغيرك في هذا المجال.
وفق الله الجميع إلى ما فيه الخير والتقدم للوطن
والمواطنين.

الفصل الثالث

د. مصطفى محمود يرد على خالد محيي الدين

هذه لعبة الموت يا رفيق

عزيزي خالد...

سعدت جدا بمقالك والحق أنني عذرتك في ردك الحامي وما تدفقت به من تهم على شخصي الضعيف أمثال السطحية الشديدة وعدم القراءة والزعم بأنني طالبت ببرد الأراضى للإقطاعيين ليعاودوا استغلال الفلاحين (وهو افتراء فما قلت هذا أبدا)، ثم الادعاء بأنني ضالع مع قوى الغزو الأجنبي في المعركة (وهو بلاغ لنيابة أمن الدولة لا اعتقالى على طريقته المألوفة والمألوفة في مخاطبة كل من يخالفكم) والحمد لله على أنك لم تتسلم الحكم بعد وإلا لشغعت القول بالعمل ولكنك الآن نزيل زنزانة بالسجن الحربى ثم دفيننا مرحوما في صحراء العباسية تحت الرمال مع جماجم عهدكم المبارك السالف.

أقول إنى عذرتك.. فقد أفلست بضاعتكم تماما ونفق



خرشوف

البقرة التي يملكها صاحبها تدر من اللبن

أكثر من البقرة التي تملكها الحكومة

الحصان الذي كنتم تراهنون عليه.. وليس صحيحاً ما ادعيت بأن الماركسية هي حصان طروادة الذي يركبه الجميع حيلة وخداعاً فلم يعد أحد يركب ذلك الحصان أبداً وإنما أنتم تركبون حصان الإسلام الرابع وباعتراقك عدد الماركسيين في مصر خمسمائة.. وعجبي لك تتبرأ من الماركسية ثم تدافع عنها وأنت تعلم قبل غيرك أنها غير مطبقة في أي بلد وأنها انحسرت عن أوطانها وأراضيها.

ولقد عذرتك مرة أخرى فالاسم الجديد الذي تنكرت تحته الماركسية وتجمع حوله الرفاق القدامى وهو الاشتراكية مالبث أن ابتذله الخصوم والانتصار حتى فقد معناه تماماً ولم يعد يعنى شيئاً.. فهتلر يسمى حزبه الفاشي الحزب الاشتراكي، وموسوليني يسمى حزبه الفاشي الحزب الاشتراكي وإنجلترا تسمى حكمها الليبرالي اشتراكية وفرنسا تهاجم السويس في حرب ٥٦ تحت راية حزبها الاشتراكي الذي يتزعمه جى موليه في حلف ثلاثي مع إسرائيل وإنجلترا.. ثم روسيا اشتراكية والصين اشتراكية ويوغوسلافيا اشتراكية والثلاثة يتبادلون السباب في الإذاعات ويكذبون بعضهم بعضاً.. والبعث العراقي اشتراكي والبعث السوري اشتراكي وكلاهما يهاجم الآخر ويتهمه بالخيانة.

لقد انتهت الاشتراكية إلى مجرد كلمة مفرغة من المحتوى يستعملها جميع الفرقاء لجميع المعاني المتناقضة.. وأصبحت

تدل على الشيء وعلى ضده وتعنى الشيء كما تعنى نقيضه..
وأصبحت علامة اختلاف لا اتفاق فيه أبداً، وأينما دخلت في
أى بلد دخل ورامها الدم والرصاص..

فإذا انتهت حالك أيها الرفيق الاشتراكي إلى هذه العصبية
فأنت معذور فواقع الاشتراكية في العالم الآن مختلط.. وكلمة
الاشتراكية ذاتها تحولت إلى وعاء للدجل وقناع يتنكر فيه
المزيفون من كل الملل والنحل.

ولقد رأينا الاشتراكية تلبس ثوبا مسيحيا في أوروبا (الحزب
الاشتراكي المسيحي) ثم طلعت علينا في مصر بثوب إسلامي
بقيادة سيادتكم.

ونحن معذرون تماما يا رفيق إذا أصابنا البهت والحيرة
فقد عرفنا دعوتكم الاشتراكية عالمية أممية وعرفناها فوق
القوميات والطوائف والأديان والأوطان ومتجاوزة لها جميعا فما
الذي جرى في الدنيا وكيف انحدر بها الحال إلى لبس هذه
الثياب المتواضعة وإلى قبول كل تلك التنازلات.

وما هذه القرارات التي طلع علينا بها مؤتمر الأحزاب
الشيوعية لهذا العالم ١٩٧٦؟

إنها قرارات تنازل عن كل مبادئ الماركسية في سبيل الفوز
بكراسي الحكم.

إن القرارات تقول بصراحة:

حاولوا الوصول للحكم بأى سبيل.. وإذا وقفت في سبيلكم
مبادئنا الخاصة بديكتاتورية البروليتاريا فدوسوها.. وإن احتج
عليكم القوميون فصالحوهم وقولوا لهم نحن قوميون مثلكم.
اسلخوا جلدكم.

تلونوا مع كل موجة لتقفزوا إلى الحكم.. الحكم.. الحكم..
الحكم.. يا رفاق.
ولتذهب المبادئ إلى الشيطان.

أليست هذه القرارات هي إعلان وصولية صريح ومرسوم
ميكيافيلية موقع عليه من كهنة معبد موسكو.
لقد كنا نحترمكم حينما كانت لكم مبادئ تناقشكم فيها
بالمقل والعلم.

أما وقد سلختم جلدكم وتنكرتم لنظرياتكم.. فماذا بقى لكم
من شخصية أو احترام.

وماذا يفرقكم الآن عن أى عصابة من المغامرین من هواة
السلطة ومن عشاق الكراسي..

وسوف أصدقك على أن لك موقفا خاصا وإنك تنتقى من
الاشتراكية الأم فتأخذ وتدع.. وإنك اخترت من الاشتراكية
الأم مبدأ ملكية الدولة لوسائل الإنتاج (أو التأميم الشامل)
ونبذت الفلسفة المادية وتفسير التاريخ والمادية الجدلية.. وهو

كلام متناقض.. لأن فكرة نزع الملكيات من الناس وتأميمها
مرتبطة عند ماركس بتفسيره المادى للتاريخ ومؤسسة على
منهجه الجدلى، وكل حلقة من هذه الحلقات أخذة برقبة
الأخرى في تسلسل.. فأنتم تنزعون أدوات الإنتاج من أيدي
الناس لأن أدوات الإنتاج مرتبطة عندكم بأفكار وأخلاقيات
وأديان.. فإذا نزعتم هذه الأدوات نزعتم معها الأفكار
والأخلاقيات والأديان التى تتبعها.. فالمسائل عندكم مترابطة
سواء اعترفتكم أو أنكرتم.. والشمول خاصة من خاصيات
الاشتراكية العلمية.

ثم إن نزع الملكيات للشامل لا وسيلة له إلا المصادرة
والعنف والاعتقال والقهر والعسف فلا أحد سوف يعطى رقبتة
اختيارا.

والاشتراكية العلمية وهى الاسم الآخر للشيوعية هى بذلك
نوع من المضاربة على مجهول، فهى تأخذ منا الحاضر من
أجل غد لم يأت بعد، وهى تبدد حياتنا الحاضرة فى أشكال من
المصادرة والاعتقال والقهر والعسف فى سبيل وعد غيبى
بمستقبل لا يتحقق أبدا.

وكل مبدأ شعولى يحمل معه بالضرورة عنصر إكراه..
فالناس غير قابلين للصب فى قالب واحد إلا أن يكون ذلك
إكراها وعسفا.. فما قولك فى قانون ينزع الملكية من كل الناس
لا يفرق بين عامل وخامل ثم يوظف كل الناس لا يفرق بين

كفاء وغير كفاء، ثم يضع أرزاق كل الناس في يد الحكومة، إلحاحكم ويحول الشعب بقرار إلى عبيد لقمة لا يملكون إلا المرتب أول كل شهر.

أليس محتكر الخبز هو بعينه محتكر الحرية؟ أليس هذا هو كلامكم؟
فكيف تمنون الناس بالحرية ثم تحتكرون خبزهم ولقماتهم بالتأميم الشامل؟

وأنا بهذا أرد عليكم بنفس كلامكم.

أليس هذا هو اكتشاف ماركس الذي تتشدد به يا رفيق.. وتتشدد بأنك تضعه على رأس مخططك وهو ملكية الدولة لوسائل الإنتاج أو التأميم الكامل الشامل؟
ولعلمك لم يكن هذا اكتشافا ماركسيا فقد عرف محمد علي من قبل مبدأ التخطيط الشامل ونفذ ملكية الدولة للقطاع الاقتصادي في عصره، كما أورد أفلاطون هذا المبدأ في جمهوريته منذ ألفي سنة.

كما سبقك إليه من المسلمين فرق منحرفة مثل القرامطة والخرمية.. نادوا بالشيوعية وخرّبوا البلاد وظلموا العباد.. ثم هلكوا مع من هلك من أمم ظالمة وهلك معهم أفكارهم.. وهؤلاء حاولوا استخدام القرآن كما تحاول أنت استخدامه وطوعوه لأهواء عصورهم كما تريد تطويعه وكما تقول بالحرف في مقالك.

نحن نهدف مع مجموعة مفكرينا إلى تفسير عصرى للقرآن يحقق مطالب عصرنا في الثورة الوطنية.. إلخ

وفي مكان آخر تطالب بتفسير الدين حسب مقتضيات العصر وتنسى كمسلم أن العصر لا يحكم على القرآن بل القرآن هو الذى يحكم على العصر.. وأن القرآن يفسر تبعاً لمقتضيات القرآن ذاته وليس تبعاً لأهواء العصر.. وأن العصر الذى نعيشه وقد تدنى إلى جاهلية مادية لا يصلح أن يكون حكماً يفرض مقتضياته على كلام الله وحكمه.

ثم من هم مجموعة مفكريكم الذين سيشرحون لنا القرآن الكريم؟

لقد فهمت من مقالك أن عندكم هيئة كبار علماء خاصة تعكف الآن على دراسة القرآن واستنباط الشيوعية وملكىة وسائل الإنتاج من آياته الكريمة.. وهو خبر طريف جداً.

وسوف نزداد شرفاً بالتعرف على هذه الهيئة.. ومنكم نستفيد.

ولاشك أننا مندوبون جميعاً لفهم ما يقوله القرآن لعصرنا وهذا ما حاولته في كتابى «فهم عصرى» ولكن إخضاع آيات الله وكلماته لمقتضيات العصر وتفسيرها تبعاً لمقتضيات العصر مفهوم آخر خطير.

ويبدو من مقالك أنك مسلم رقيق جداً تتأفف من لعن الباطل



دوبتشك

اجتياح تشيكوسلوفاكيا بالدبابات
لقهر الشعب سنة ١٩٦٧

على السجادة وتقول إنك تستخدم السجادة في أغراض أخرى
مثل المحبة والدعوة بالهدى للجميع.

دعنى أسالك إذن من هم «المغضوب عليهم والضالون»
الذين تتبرأ منهم أكثر من عشرين مرة كلما تلوّث الفاتحة على
السجادة.. أم أنك تصلى صلاة أخرى غير صلاتنا وتلوّث فاتحة
أخرى غير فاتحتنا.

ثم من هم الذين قال عنهم ربنا (أولئك جزاؤهم أن عليهم
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) [٨٧ - آل عمران]. حتى
الملائكة لم يتأففوا من لعن الباطل والمبطلين.

والناس أجمعون وجبت عليهم لعنتهم، والدين هو الاشادة
بالحق ولعن الباطل.

وما أهل الباطل سوى المبطلين الماديين المنكرين الذين
قالوا :

(ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)
[٣٤ - الجاثية].. فأنكروا ما وراء هذه الحياة وما وراء هذه
اللحظة.

ولما لم يجدوا غير حياتهم ولحظتهم اقتتلوا عليها بالمخلب
والناب..

هؤلاء الذين رفضوا دينك وقاتلوا أنبياءك.. ماذا لهم عندك..

لعل لهم بطاقة عضوية في منبرك.. فأنت تدافع عنهم من طرف خفى قائلا:

وماذا يخيفك من خمسمائة أو ألف ماركسي.. وماذا يمكن أن تصنع أقلية هذا عددها في أربعين مليونا؟
ولن أذكرك بأن لينين وأتباعه استولوا على الحكم بالتآمر مع الألمان وباستخدام القوة المسلحة وكانوا يضع مئات بين ٢٠٠ مليون روس.

وكذلك الأحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية قفزت إلى الحكم وهي أقلية من مئات بمساندة الاتحاد السوفيتي.
ومن هي الطائفة التي قفزت إلى الحكم في عدن ليست هي الطائفة الأقلية؟

ومن هو الحزب الحاكم في سوريا.. أليس هو الطائفة الأقلية؟

إن ألف مسلح في هذا العصر القاتمى يمكن أن يضيعوا مستقبل أمة وأن يستذلوا شعبا.. والأمثلة حولك.. ومن ورائك.. ومن أمامك.

ثم هم ألف ماركسي أدخلوا أنفسهم من قيود الأخلاق والدين وأعلنوا في كتبهم أن الأخلاق والدين ما هما إلا بناء فوقى يتغير مع البناء التحتي.. إلى آخر هذه الترهات التي ضحكوا بها على الناس ويرروا بها لأنفسهم التجرد من كل ولاء أو

ارتباط سعيًا وراء قلب العالم وتغييره.

هذه المسوخ العقائدية بما تضحك به على الشباب الرافض
وبما تستقطب من أحقاد وأضغان يمكن أن تدمر العالم كله
وليس أمة وحدها.

ثم ما حيلة الشعوب أمام أجهزة إعلامية تكذب وتكذب
وتكذب وإذاعات وجرائد ومجلات وكتب تكذب وتكذب وتكذب
وتكذب ليل نهار.. دون أن يجد أحد فرصة لرد.

ثم أنظمة تمارس الدكتاتورية البشعة.. ثم تهتف ليل نهار
بأن الحكم للشعب والأمر للشعب.

وإذا كان الحكم للشعب فلماذا كان الغزو العسكري للمجر
برغم الشعب سنة ١٩٥٦. ولماذا كان اجتياح تشيكوسلوفاكيا
بالدبابات لقهر الشعب سنة ١٩٦٧.

ولكنه الكذب والكذب والكذب.

وفي دفاعك عما أنجزته روسيا ودول أوروبا الشرقية أجابوك
بأنه لا يصح النظر إلى أي إنجاز معزولا عن الثمن الفادح
الذي دفع مقابله.. ولا يجوز النظر إلى عمل دون النظر إلى
تكلفته.. فإذا تجاوزت التكلفة الأرباح فالنتيجة خسران..

وإذا أقمنا أعظم صناعة وهدمنا إنسانية الإنسان وسحقنا
حريته وأهدرنا كرامته فقد فشلنا وما نجحنا.. وتأخرنا
وما تقدمنا..

وإذا اختنق الابداع.. فما أكثر ما تخسر الإنسانية.

ودعني أسألك.. هل هي مصادفة أن كل التحولات الإبداعية
في الصناعة وكل الاختراعات التي غيرت مجرى التاريخ خرجت
من الغرب الرأسمالي.. أكانت مصادفة أن البخار والبتترول
والكهرباء والالكترونيات والذرة خرجت من الغرب الرأسمالي

ولماذا لم يخرج من الشرق الشيوعي اختراع واحد من
الوزن الذي يغير مجرى التاريخ ويقلب علاقات الإنتاج؟ مجرد
سؤال.

أما اللعب على حكاية الفقير والغنى واستثمار مشاكل البلد
والركوب على حصان أوجاع الناس والمزايدة في الوعود.. وهي
اللعبة المحببة لكل فرق اليسار فهو أسلوب غير كريم وغير
إنساني.. وهو الحق الذي يراد به دائما الباطل.

وهذا يقودنا إلى مربط الفرس.. حينما سألتني.. وماذا
عندك من حل.. وما المخرج.. وما العمل؟..

ولعلك تصورت بسؤالك هذا أنك أوقفتني وظهري إلى
الحائط.. وأنا لن أجد أمامي إلا التسليم بالحتمية الخرافية
التي تتغنون بها.. حتمية الاشتراكية العلمية.

وقد سبق أن شرحت في كتابي «الماركسية والإسلام» كيف
أن الاشتراكية العلمية غير علمية، وكيف أن صفة العلمية

ليست أكثر من بطاقة ترويج ودعوى مزعومة لا تصعد للتحليل..
فكارل ماركس لم يقدّم بحصر للتاريخ، بل قام بانتقاء ما يوافق
هواه ونبذ ما يخالف منهجه من مراحل التاريخ، فلا يصح
إطلاق كلامه على التاريخ كله.. ثم لو كان منهجه علمياً بحسب
وصادقاً بحق للزم أن تصدق نبوءاته وقد كذبت كلها.. ثم إن
الموقف العلمي الآن هو أبعد ما يكون عن تبسيط المسائل
وتسطيح التاريخ في صورة عامل واحد تتداعى من خلفه
المؤثرات كما تصور ماركس.. وإنما النظرية السائدة اليوم هي
نظرية تداخل العوامل وتعددتها وتبادلها التأثير..

ثم من كان موجوداً أول الخلق ليقول: في البدء كانت
المادة..

هذا كلام ظني غيبي ولا علمية فيه.

وبالنسبة لقضية الحتمية فلا مكان عندى لأى حتمية في
الأمر الإنساني فلسنا كرات بلياردو ولا تروس آلة.. وأمامنا
دليل من الواقع في نظامين كلاهما بدأ من الصفر.. الصين
خرجت من حضيض الأفيون إلى القنبلة الهيدروجينية بمنهج
اشتراكي - واليابان خرجت من دمار هيروشيما وناكازاكي إلى
ذروة القوة الاقتصادية بمنهج رأسمالي.. فلا حتمية إذن.. بل
هناك أكثر من طريق للخروج من حضيض التخلف.. إنما
المطلوب الصدق والجدية وتشهير السواعد.

وعلى كل أمة أن تختار حسب تكوينها وتراثها وظروفها.

وأنا أرى أن مصر بالنسبة لتكوينها الحضاري والتراثي
والعقائدي تقع في منطقة الوسط بين المنهج الرأسمالي والمنهج
الشيوعي.. والإسلام ذاته كمنهج اقتصادي يقع في موقع
متوسط بين الرأسمالية والشيوعية.. ليس وسطاً بالمعنى
الحسابي. ولكنه وسط نوعي يختلف في أصوله وفروعه
ومنطلقاته عن الرأسمالية والشيوعية معاً، فهو وإن اتفق مع
الرأسمالية في حرية الفرد في التملك والاستثمار فإنه يختلف
فيما يمكن أن تنفر عنه هذه الحرية من استغلال واحتكار،
فالإسلام يرفض الاستغلال والاحتكار ولكنه يسمح برأسمالية
وطنية خاضعة للتوجيه والضرائب التي يستوجبها الضمان
الاجتماعي.. والإسلام بالمثل يختلف عن الشيوعية في الأصول
والفروع والمنطلق، فهو ضد ملكية الدولة لوسائل الإنتاج
وما يتبعها من تأميم شامل ومن احتكار لحيز الجميع في يد
الحكومة والحاكم لأنه يعنى احتكار الحرية بالتبعية.. وإذا
كانت الشيوعية تلجأ إلى هذه الوسيلة في التأميم الشامل
انطلاقاً من الرؤية المادية للتاريخ وانطلاقاً من مفهومها
الخاص في الصراع الطبقي، فالإسلام لا يرى هذه الرؤية
المادية للتاريخ كما أنه ضد هذا المفهوم للصراع الطبقي.

إنما ينطلق الإسلام من نقطة وفاق واتفاق وأخوة وتعاون
بين الأغنياء والفقراء، وليس من نقطة تباغض وتحاد ذلك



تروتسكي

الحقد هو سلاحنا لقلب العالم

بأن يدفع الأغنياء حق المال، وأن يدفعوا ما تقتضيه الخدمات الاجتماعية من ضرائب مهما بلغت.

كما ينطلق المنهج الإسلامي من نقطة التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع، فيرى أنه يمكن أن يتعايش قطاع عام وقطاع خاص.. ملكية عامة وملكية خاصة، فلا يطفئ الفرد على المجموع فيستغل ويحتكر، ولا يطفئ المجتمع على الأفراد فيسحقهم ويحولهم إلى قطع من الموظفين في نظام مؤمم شامل.. وبهذا المعنى يرى أن يقتصر التأمين على القطاعات الحيوية مثل البترول والصلب والسكك الحديدية والبريد والمواصلات.. وتفسخ الأنشطة الاقتصادية الأصغر من ذلك لمساهمة الأفراد تحت توجيه الدولة تفرض عليها ما تقتضيه الخدمات الاجتماعية من ضرائب مهما بلغت

والمنهج الإسلامي بهذا المعنى أقرب ما يكون إلى الاقتصاد الحر الموجه المأخوذ به في بلاد مثل إنجلترا والسويد والنرويج والنمسا حيث الحرية الاقتصادية موجودة بضوابط، كما أن تدخل الدولة ومهيمنتها بالتأمين والإشراف والتوجيه قائم بضوابط.. ومعياري القياس والحكم يظل دائما بلوغ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع لا يضحي بواحد منهما من أجل الآخر.. وإنما تتعاون المصلحتان في قيادة سفينة الإنسان إلى أحسن الثمار.

وبذلك نكون قد أخذنا حسنات النظامين (الرأسمالي

والشيوعى) دون أن نقع في مساوئهما ودون أن نشقى بعيوبهما.

وأنا لن أسمى هذا الوسط الإسلامى (اشتراكية) تفاديا للخلط والالتباس الذى أصبحت تؤدي إليه هذه الكلمة الخادعة التى تعددت معانيها بسوء الاستعمال فأصبحت تدل على الشيء وعلى نقيضه، وتعنى الشيء وضده.. وإنما سوف أقول إن هذا «الوسط» هو العدالة الاجتماعية كما أتصورها.. والمعانى أهم من الألفاظ وأقطع في الدلالة.

وعن ملكية الأرض أقول إن تحديد الملكية بالصورة الحالية هو الحل الوسط المقبول بين الاقطاع السابق البغيض وبين تعرية الفلاحين عن أراضيهم وتجميعهم في تعاونيات بشكل يتنافى مع فطرة الفلاح وطبعه.

وسيكون معيار الحكم دائما هو بلوغ نقطة التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع.

وهذا هو معنى الصراط المستقيم في الإسلام.. (الوسط العدل) بين طرفين كلاهما تطرف.. يقول ربنا: (وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) [١٥٢ الانعام].. ولهذا لا يعرف الإسلام يمينا ولا يسارا، فالحق واحد ولا يوجد حقان.. ومن خرج عن هذا الحق باليمين انحرف ومن خرج عنه باليسار انحرف.. وليس على يمين الحق ولا عن يساره إلا الباطل.

ولم تكن حرب اليمين واليسار في بلادنا إلا بعض أساليب

التفريق والفتنة التي ابتلانا بها الاستعمار.. وهو تفريق لم يكن
يبدأ حتى يتفاقم فلا ينتهى.. فهناك في البداية يمين ويسار..
ثم يعود اليسار فينقسم إلى يسار معتدل ويسار متطرف.. ثم
يعود اليسار المتطرف فينقسم إلى يسار صينى ويسار روسى..
وهكذا تظل القسمة تتفاقم وكل يسار ينشق عنه جناح أشد منه
يسارية حتى تنشق الأمة كلها إلى شرائح وتفتت إلى برادة
ومسحوق لا وزن له.. وأفراد يقتلون بعضهم بعضا بلا سبب
مفهوم كما نرى الآن في لبنان وكما رأينا في البرتغال وشيلي
ونيجيريا وأنجولا وأسبانيا وإيطاليا.. والبقية تأتى.. حتى تقوم
القيامة على عالم غابة يقتل كل واحد فيه الآخر وينتهى العالم
غابة كما بدأ غابة..

وإذا قلنا إن كل المسلمين يسار فأى يسار نقصد.. اليسار
اللينينى أو اليسار الستالينى أم اليسار المائى.. وهل سيدنا
محمد تيتوى أم ناصرى.. أضحكتمونا يا سادة..

وهل هى هداية للمسلمين أن نخرجهم وهم الجمع المؤتلف
لنلقى بهم إلى هذا الأمر المختلف الذى انقسم أصحابه فرقا
تقتل بعضها بعضا..

أحرام هذا أم حلال يا أهل العقول ودعاة الفهم العلمى..؟

ترى هل أنا واضح..

وهل أجبتك...

أم سوف أقرأ في الغد افتراءات عن يمين وشمال بشأنى
طالبت بإعادة الأرض إلى الإقطاعيين وأنى رأسمالى احتكارى
استغلالى رجعى أنستر خلف الدين وأطالب بإلغاء الاشتراكية
إلى آخر هذه الاتهامات التي احترفها أصحابكم..

صدقنى.. لن يهمنى..

فأنا أعتقد أنى وضحت نفسى تماما.. وأنى صريح قاطع مثل
شعاع شمس أغسطس..

ولك محبتى يا رفيقى..

هامش على المشكلة

كلهم يعبدون العجل

يخطئ من يقسم العالم إلى معسكر شرقي ملحد ومعسكر
غربي مؤمن.

وساذج من يصور لنفسه أن هناك حضارة مادية في روسيا
وحضارة من نوع آخر في أمريكا.. فالحقيقة أن كليهما يبدن
بدين واحد وهو عبادة المادة.

الكل يعبد العجل الذهب ويحرق له البخور ولكن أحدهم
يمسكه من ذيله والآخر يمسكه من رأسه.

الحضارة السائدة اليوم هي حضارة مادية ملحدة بشقيها:
الرأسمالي والشيوعي.. كل الفرق أن الحريات المتاحة للأفراد
تتفاوت في الجانبين.. ويستطيع بعض المجانين في بعض
الاماكن مزاوله الدين والترويج له والدعوة لأفكاره والخروج عن
الصف هنا أو هناك دون مطاردة من السلطات.. ولكنهم

مغلوبون على أمرهم في النهاية في الشرق وفي الغرب بحكم
التيار المادي السائد.

بل إن أكثر المروجين للدين هم طلاب مادة ولايسو أقتنعة
ودجالون في هذا الحفل التنكري والكباريه العظيم الذي يرقص
فيه الكل رقصة المليون دولار..

نحن نعيش جاهلية مادية ذات أنياب ذرية ومخالب
إلكترونية.. ونعاصر نوعا متطورا من الفساد يستخدم التليفزيون
والراديو والسينما والمجلة والكتاب وأحدث مستحدثات العلم في
ترويج أكاذيبه.

ومن السذاجة أن يتصور بعضنا أنهم في الشرق أصدقاءنا
وفي الغرب أعداؤنا أو يتصور آخرون العكس أنهم في الغرب
أصدقاءنا وفي الشرق أعداؤنا.. فالحقيقة المؤسفة أنهم كلهم
الآن دول كبرى.. يعيشون بمنطق الدول الكبرى وليس بمنطق
أى مبادئ أو نظريات.

الكل يستعمرنا بوسيلة أو بأخرى.. بالمذهب أو بالاقتصاد
أو المؤامرات.. أو بالسلاح يبيعونه ثم يؤلبون طائفة منا على
الأخرى لنقتل بعضنا بعضا فيخربون بذلك عدة عصفير بحجر
واحد.. يستردون عائدات البترول التي دفعوها لنا بالعمل
الصعبة.. ويشغلون مصانعهم.. ويعالجون البطالة الزائدة في
بلادهم بالعمل في تلك المصانع.. ويشتتون جموعنا فلا تتفق

أبدا على كلمة.. ويقتلون الصفوة العربية المتحمسة بأيدي
صفوة أخرى عربية متحمسة.. ثم يتبادلون الانتخاب من فوق
وعوسنا على ما أحرزوه من نجاحات في عالم البقر الذي هو
العالم العربي المنكرد بطلانته المتخلفة.

ويخطئ البعض ويتصور أن الحل هو أن نرفض هذا
العصر.. أو أن نرفض هذه الحضارة بتمامها.. وهي جريمة
لا تقل خطرا عن قبول هذه الحضارة بتمامها..

والحقيقة أن هناك جانبا إيجابيا في هذه الحضارة لا بد من
قبوله واستيعابه.. وهو العلم بمنجزاته الصناعية والتكنولوجية.
والعلم محايد..

لا يوجد علم شرقي ولا علم غربي.

ولا يوجد علم شيوعي وعلم رأسمالي..

الحقائق العلمية واحدة.

البخار ليس يمينيا.

والكهرياء ليست يسارية..

العلم تراث إنساني عام لا بد من تحصيله كله ومن مناصبه
ومراجعته الأصلية وذلك هو الجانب الإيجابي من حضارتنا.

أما الجانب النظري والفلسفي والسياسي فهو الأمور التي
يجب عرضها على العقل وفرزها ونقدها وتحليلها.



فرويد

لم ير من النفس إلا جانبها المادى الحيوانى

وهذه الأمور هي التي يبسط عليها الفكر المادى ظله الثقيل الكثيف.. وما أكثر ما نقرأ في هذه الأمور من بطاقات علمية موضوعه على سلع فكرية وهي لا تمت إلى العلم بسبب.. فنقرأ مثلاً كلمة (علوم ماركسية) وهي كما شرحنا سابقاً ليست بعلوم ولا ينطبق عليها الشرط الواجب في العلوم.. فهي ظنية غير موضوعية ومستقاة من مادة تاريخية هي بدورها ظنية وغير موضوعية.

ومن هذه الأمور أيضاً «علم النفس».. وهو ليس بعلم على الإطلاق ولا ينطبق على بحوثه التي قدمها فرويد، وأدلر وغيرهما شروط العلم الواجبة.. فلا هو يقينى ولا هو موضوعى بل هو مجموعة نظريات وفروض وتخمينات اختلف فيها أصحابها وتناقضوا وكذب كل منهم الآخر.

ثم نرى الفكر المادى يبسط ظلاله على هذه العلوم النفسية المزعومة ويلقيها في غلالة كثيفة من العمى وقصر النظر.

فعلم النفس يتصور النفس الإنسانية تصوراً مادياً بحتاً فهي مجموعة غرائز تطالب الإشباع المادى العاجل في دنيا مادية ثم لا شيء وراء ذلك.. لا روح ولا إله.. ولا غيب من وراء هذا الواقع المحسوس.. ولا شيء من وراء هذه الدنيا المادية الكثيفة الغليظة.

والإله الحاكم في هذه الملكة النفسية هو مجموعة الغرائز

القابعة في اللاشعور ومجموعة الاشواق التي تراكمت في سنوات
الطفولة الاولى..

والإنسان بناء على هذه النظرية مدفوع دائما بقوى
لا معقولة وملقى به نحو أفعال قهرية لا تبصر فيها ولا روية..
وهو مغلوب على أمره لا حيلة له ولا مخرج.. وكل ما يملكه
العقل هو أن يحاول تبرير هذه الرغبات البهيمية والبحث عن
وسائل مقبولة لإشباعها أو التسامى بها ليزاورها بصور أجمل..

وقد استخرج فرويد وأصحابه هذه النظريات من دفتر مرضى
الهستيريا والنورستانيا في عنبر الامراض النفسية ثم عمموها
على الأصحاء والأسوياء.

أما علماء النفس اليوم فيستخرجون نظرياتهم من إحصاءات
وملاحظات تجريبية فيما يعرف الآن بعلم النفس التجريبي.

وعلم النفس التجريبي هو كذبة أخرى كبرى فالنفس
بطبيعتها ذات كلية ولا يمكن تحويلها إلى موضوع أو تشرحها
تحت المجهر.. وهي بالتحليل والتشريح تصبح شيئا آخر غير
النفس الحية المطلوب فهمها.

والنفس بطبيعتها تتفكك وتستخفى وتستعصى على التجريب.

وإذا اقتطعت من النفس جانبا في عملية التحليل فإن
ما تراه لا يكون هو النفس، لأن النفس كل لا يقبل التجزئة
وواحد لا يقبل القسمة.

وكل هذه الأخطاء هي ثمار النظرة المادية المحدودة إلى النفس التي لا ترى من النفس إلا الجانب الحيواني الفسيولوجي

وهو عين ما فعله كارل ماركس حينما تصور أن التاريخ عربية تحركها المصالح المادية والقوى المادية وحدها.. وأن حركة التاريخ هي دائما ثمرة الصراع بين طمع الأغنياء وحقد الفقراء إلى آخر ما حكيناه عن الصراع الطبقي

وهذا التصور المحدود والأفق الضيق المسدود هو الذى أدى بالاثنتين إلى اعتساف الفروض والتخريجات.. وهو الذى أدى بالاثنتين إلى تلفيق ما قالاه عن النفس والتاريخ.. وهو الذى انتهى بالاثنتين إلى اعتساف الأدلة وتزييف البراهين وهذه النظرة هي التى صبغت فكر الغرب وفلسفته وسياسته وفنونه.. وهى المسئولة عن ذلك الجانب المظلم من القمر (قمر الحضارة العلمية).. حيث يضيء وجه العلم والصناعة والتكنولوجيا على حين يظلم الوجه الآخر بطفيان المادية والاحاد.

وفي موجة انبهارنا بالحضارة الأوربية خلطنا بين الوجهين فلم نعرف أيهما يحمل لنا التقدم وأيها يحمل لنا التأخر.. وتصورنا أن كل ما يأتينا عبر البحر هو طوق نجاة ويشير إنقاذ

وكانت هذه كبرى أخطائنا

وهو ما يجب أن نتدراكه من اليوم.. فنعرف ماذا نأخذ وماذا ندع.

صدر للمؤلف

- | | |
|------------------------|--------------------------------|
| ١ - الله والإنسان | ٢١ - غوما |
| ٢ - أكل عيش | ٢٢ - الشيطان يسكن في بيتنا |
| ٣ - عنبر ٧ | ٢٣ - الغابة |
| ٤ - شلة الأنس | ٢٤ - مغامرة في الصحراء |
| ٥ - رائحة الدم | ٢٥ - المدينة (أوحكايات مسافر) |
| ٦ - إبليس | ٢٦ - اعترفوا لي |
| ٧ - لغز الموت | ٢٧ - مشكلة حب ٥٥ |
| ٨ - لغز الحياة | ٢٨ - اعترافات عشاق |
| ٩ - الأحلام | ٢٩ - القرآن محاولة لفهم عصرى |
| ١٠ - أينشتين والنسبية | ٣٠ - رحلتى من الشك إلى الإيمان |
| ١١ - في الحب والحياة | ٣١ - الطريق إلى الكعبة |
| ١٢ - بوميات نهر الليل | ٣٢ - الله |
| ١٣ - المستحيل | ٣٣ - التوراة |
| ١٤ - الأفيون | ٣٤ - الشيطان يحكم |
| ١٥ - المنكيوت | ٣٥ - رأيت الله |
| ١٦ - الخروج من التابوت | ٣٦ - الروح والجسد |
| ١٧ - رجل تحت الصخر | ٣٧ - حوار مع صديق الملحد |
| ١٨ - الإسكندر الأكبر | ٣٨ - الماركسية والإسلام |
| ١٩ - الزلزال | ٣٩ - محمد |
| ٢٠ - الإنسان والظل | ٤٠ - السر الأعظم |

- ٤١- الطوفان
٤٢- الأفقون
٤٣- الوجود والعدم
٤٤- من أصرار القرآن
٤٥- لماذا رفضت الماركسية
٤٦- نقطة الغليان
٤٧- عصر القرد
٤٨- القرآن كائن حي
- ٤٩- أكذوبة اليسار الإسلامي
٥٠- نار تحت الرماد
٥١- المسيح الدجال
٥٢- أناشيد الإثم والبراءة
٥٣- جهنم الصغرى
٥٤- من أمريكا إلى الشاطئ الآخر
٥٥- أيها السادة اخلعوا الأقنعة

• مجموعة المؤلفات الكاملة •

- قصص مصطفى محمود صدرت في بيروت عام ١٩٧٢ .
روايات مصطفى محمود صدرت في بيروت عام ١٩٧٢ .
مسرحيات مصطفى محمود صدرت في بيروت عام ١٩٧٢ .
رحلات مصطفى محمود صدرت في بيروت عام ١٩٧٢ .
- حازت رواية «رجل تحت الصفر» على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

رقم الإيداع	١٩٨٤ / ٣٦٠٢
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٨٩٧-٣

١ / ٨٣ / ٢٨٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.١)

هذا الكتاب خاص بصفحة

Dr. Mostafa Mahmoud